تطيل ، على الرغم من قدوتها - فنيًا - على ذلك ، على نحو ما نجده من طوال الرثائيات في ديوانها مما قد يتجاوز خمسة وثلاثين بيتا ، على نحو ماجاء في رائيتها المشهورة ومطلعها :

قذىً بعينك أم بالعَيْن عُـــــوَّار أم ذرفت إذ خلَتْ من أهلها الـدارُ ؟

ومن ثم يبدو الاحتكام إلى الإطالة أو القصر ، أو تصوير التجربة في ظلال قصيدة أو مقطوعة أمراً محيراً إزاء صدق الموقف ، وتدفق الانفعال في مرثيات الشاعرة ، أو لدى غيرها من شعراء الرثاء بوجه عام .

(٢)

فإن شئنا تحديد نقاط التلاقي وطبيعة المشابه بين مرثية الخنساء لأخوَيْها وبين مرثية عبد يغوث لنفسه في قصة أسرة تراءت لنا الأبعاد الزمانية جامعاً بين المواقف حين توزع بين ألم الواقع وذكريات الماضي ، وكأنه وسيلة للولوج إلى عمق التجربة ، وهو في شكل آخر صورة من التغلب على الحاضر - مؤقتا - من خلال عالم الذكرى ، وما أحسب هذه الرؤية إلا قاسماً مشتركا بين شعراء الرثاء بعامة .

وربما ظلت صيغ التلاقي واردة في مساق الشكل الفني ، وإن اختلفت مستويات الإطالة ، مما يظل قادرا على اصطناع تشابه الإيقاع الصوتي بين الشاعر والشاعرة بدءا من التكرار الصوتي الدال على الحزن والكاشف عن عمقة واستمراريته مما يشيع بين أبيات النصين .

كما يبقى الوفاء والصدق رابطا بين التجربتَيْن وإن توجهت الأولى إلى حديث محوره الذات والثانية إلى حديث حول الآخر ، ولكنه من خلال آلام الذات واجترار أحزانها ، مما يعمق تلك الأبعاد الذاتية ، ويؤكد منطق الصدق في أي من صيغهما الباكية .

وتظل للخنساء خصوصية المرأة الراثية التي تعاني ويلات النفس ، وتقاسي الكابة تجاه الفقيدين ، مما جعلها حائرة قلقة حتى في أدائها اللفظي موزِّعا بين صوت النائحات وبين البحث عن عزاء النفس في مقابل اليقين بفقد الأخ ، وبين تذكر ماضي الفقيد وبين إمكانية استمرارية العيش وتقبل الحياة ، وبين البكاء أملاً في التعزي وتخفيف وقع المأساة ،وبين إدراكها انعدام قيمته أمام فداحة الخطب الذي ألمَّ بها . ومن هنا كان منطق الجمع لديها بين